المسجد الحرام

الساحةُ الكبرى ، والدارُ اللَّمومة ، والموسم الحاشر (١)

المُنتدَى والمؤتمر ومَثابةُ الزُّمَر (٢)

إبرةُ المُبْحر ، ونجم المُصحِر (٣)

قِبلة البدويِّ في قَفره ، ووِجهةُ القرويِّ في كَفْره (٤)

حَرَمُ الله المطهَّر ، وبيتُه العتيقُ المستَّر (٥) ؛ الذي وجَّهَ إليه الوجوه ، وفرض على عباده أن يحُجُّوه

نظرتْ اليه المساجدُ في كل خمس ، وقامت اليه قيامَ الحِرْباء الى الشمس (٦)

بناه الله بمكةَ على فضاء زَكيٍّ لم يتنفَّس فيه الناس ، وخَلا إلا من حُجْرٍ وكِناس ؛ فلا الدنيا سحبتْ عليه غُرورَها ؛ ولا النفوسُ نقلَّت فيه شرورَها ، ولا الحياةُ أزارتْه باطِلَها وزُورَها

لو شاء اللهُ لَبنَى بيتَه بمصرَ على نَهَر فيَاض ، ووادٍ كلُّه قِطَع الرياض

---

(١) اللدومة التي تجمع الناس . والحاشر : الجامع

(٢) المثاب : مجتمع الناس بعد تفرقهم ، ومنه المثابة ، قال تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » . والزمر : الافواج المتفرقة بعضها في أثر بعض

(٣) المبحر : راكب البحر . والمصحر : السافر في الصحراء . وعادة المبحر ان يهتدي الى سبيله ببيت الابرة (البوصلة) ، وعادة المصحر ان يهتدي الى غايته بالنجوم . وقد شبه المسجد الحرام بالابرة والنجم بجامع هداية السائر الحائر فيها جميعا

(٤) الكفر : القرية (٥) المستر : المغطى بالاستار

(٦) الخمس : الصلوات . الحرباء : حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ، ويتلون بحرّها ألوانا

ولو شاء الله لاتخذ بيته بالشام بين الجداول المظللة ، والربى المكللة ، والغصون المهدلة ، والقطوف المذللة (١)

ولو شاء الله - جلت قدرته - لرفع بيته على أنوف الجبابرة ، ملوك الاعصر الغابرة ، وفوق هام آلهتهم وهي ممهدة منضدة ، في الغرف المشيده ، والقباب الممردة (٢)

ولكنه - تعالى - نظر الى أم القرى (٣) فرأى بها ذلاً لعز سلطانه ، وافتقاراً الى غناه وإحسانه ؛ ورأى خشوعا يستأنس به الايمان ، وتجرداً تسكن اليه العبادة ؛ ورأى انفراداً يجري في معنى التوحيد ؛ فأمر ابراهيم - حواريه ونبيه وخليله وصفيه - أن يرفع بذلك الوادى ركن بنيته (٤) وينصب بين شعابه منار وجدانيته (٥)

بنيان قام بالضعف والقوة (٦) ، ونهض على كاهل الكهولة وساعد الفتوة ، واشتركت فيه الابوة والبنوة ؛ فكنت ترى ابراهيم يزاول ، واسماعيل بين يديه يناول ؛ حتى بنيا حقاً أعيى المعاول ، وعجز عنه الذي دمر تدمر وأبلى بابل (٧)

فانظر الى صفاح الباطل كيف باد (٨) ، والى آجر الحق كيف

(١) الربى : الاراضي المرتفعه . والمكللة المتوجة ، والمراد أنها متوجة بالزهر والاعشاب . والقطوف : الثمار . والمذللة : المدلاة ، ومنه قوله تعالى « وذللت قطوفها تذليلا »

(٢) الهام : الرءوس . والمنضدة : المتراصفة . والمراد بالآلهة هنا الاصنام . والممردة : الطويلة الملساء (٣) من اسماء مكة (٤) البنية : الكعبة (٥) الشعاب : جمع شعب بكسر الشين وهو المنفرج بين الجبلين (٦) ضعف الكهولة وقوة الشباب الماثلان في ابراهيم واسماعيل (٧) يعني بالذي أهلك تدمر وأبلى بابل الدهر (٨) الصفاح : الحجر العريض

أفنى الآباد . وتأمّل عجائبَ صُنع النيَّة ، وكيف ظَفِرت لَبِنَةُ التوحيد بصخرة الوثنية

بُنيَ ﴿ البيتُ ﴾ واذا الجلالُ حُجُبُه وأستارُه ، والحقُّ حائطُه وجدارُه ، والتوحيد مَظهرُه ومَناره ، والنبيُّون بُناته وعُمّاره ، والله - عزَّ وجلّ - ربُّه وجارُه

أطّلعتْ به ﴿ صَلاح [1] ﴾ ، اطّلاع المشكاة بالمصباح ، فزَهرَ فأضاءَ البراح ، وانتظمَ الهضابَ والبِطاح . أضوأ من الشمس ذُبالة ، وأبهرَ من القمر هالة ، في منازل الشرف والجلالة

قد حازَ اللهُ له من نباهةِ الذِّكر وفخامة الشأن ، ما لم يَحُزْ لقديم من مَعالم الحقّ ولا حديث : بِرُّ العبادة ، وفضيلةُ الحج ، وشرف الباني ، ورَوْعة العتق ، وجلالةُ التاريخ

يقول الغُواة : لو كانت الكعبةُ من ذهب أو فضة ! ويقولون : لو كانت كبِيَع النَّصارى في عواصم الغرب : رفعةَ بناء ، وديباجةَ فن ، ورشيَ زُخرُف !

وأقول للغواة : لو تُركتِ الكعبةُ على فِطرَتها الاولى ، فلم يُطوَّلْ بناؤها ، ولم تُزيَّنْ بالذهب أجزاؤها ، ولم تتعدّد في الزخرُف أشياؤها ، لكان بعَبقريتها أليقَ ، وبروحانيتها أشبه وأخلق . وفي تقدير قُدسها غايةٌ ونهاية سَوفى

(١) لقب من ألقاب مكة